أشد من نهر الفرات وأقرب إلى البحر فى هديره وأمواجه وعنفه وقوته . وهذه الصورة الشعرية تقلب عليها الشعراء فى المديح ورسم الكرم والجود والعطاء، فبعضهم قلدها ، وبعض أضاف إليها ، فلم يخرج كثير منهم عن تشبيه الكرم بالبحر والجود بالموج المزبد .

وقد طلع علينا النابغة بصور كثيرة للمديح ، فاتخذ سبيله إلى تشبيه مليكه بالليل الذى يدركه أنى كان ، وشبهه بالربيع المنعش كذلك :

وَأَنْتَ رَبِيعٌ يَنعَشُ النَاسَ سَيبُهُ وَسَيْفٌ أَعيرَتْهُ المَنِية قَاطِعُ
أَبَى اللهُ إِلَّا عَـدله ووفاءَهُ فَلَا النكْرُ معروفٌ ولا العُرْفُ ضَائِعُ[1]

فالنعمان ربيع يقبل بالجمال والزهر والنور والبركة والثمر ، فهو خير كله وهو مع ذلك مخيف لأعدائه كسيف قاطع أعارته المنية حدّها الباتر . والشاعر يقول بأن العرف لا يضيع بين الله والناس .

واستعار النابغة صورة أخرى لمديح مليكه ، فشبهه بالشمس بين الكواكب لمكانه بين الملوك وارتفاع قدره على أقدارهم فقال :

أَلَم تَرَ أَنَّ اللهَ أَعْطَاكَ سورَةً تَرَى كُلَّ ملك دونها يَتَذَبْذَبُ[2]
بِأَنَّكَ شَمْسٌ والملوكُ كواكبٌ إِذا طَلَعَتْ لم يَبْدُ منهنَّ كوكبُ

وهكذا سن النابغة للشعراء سنن المديح الرسمى حين يتطلعون إلى الملوك ، فقال فى مليكه إنه بحر طامى الجود ، وإنه ليل يبسط رداءه على الوجود ، وإنه شمس بين الكواكب ، وإنه ربيع ينعش النفوس كما ينعش المطر الأرض الظمآى، وإنه سيف بتار مهيب. ولذلك قال النقاد إنه أول الاحتراف فى المديح . ورأى فيه بعضهم صحافيًّا لعصره يُعير قلمه لكل من يجود عليه أو يحمى حماه ،

---

(١) النكر : المنكر — العرف : المعروف .

(٢) سورة : منزلة ومنـ... وى : صورة — يتذبذب : يضطرب .